العناصر التحويلية في كتاب الخصائص لابن جني

ـ الجزء الثاني أنموذجًا ـ

The Transformational Elements in the Characteristics Book by Ibn Jinni - Part Two as a Model-

د. أشواق محمد إسماعيل النجَّار
جامعة صلاح الدين . كلية اللغات

Dr. Ashwaq Muhammed Ismaiel Al - Najjar
University of Salahaddin - College of Languages

ashwaq.Ismaiel@su.edu.krd

الكلمات المفتاحية: العناصر ـ التحويل ـ الخصائص ـ ابن جني ـ أنموذج

Keyword: Elements - Transformation - Characteristics - Ibn Jinnie - Model

الملخص

تبرز أهمية هذا البحث في دراسة العناصر التحويلية واستنباطها في الجزء الثاني من كتاب الخصائص، وتمتدُّ جذور هذا المنهج إلى الموروث اللغوي. وقد آثرنا دراسة الجزء الثاني؛ لأنَّ فيه أبواباً شتَّى تتعلَّق بقواعد التحويل، نحو باب في الشجاعة العربية وردت فيه ثلة من العناصر التحويلية، كالحذف، والتقديم، والتأخير....هلم جرا.

ويرصد البحث المنهج التحويلي والدرس اللغوي الحديث، كمهاد نظري وضَّحنا فيه بعض آراء جومسكي ومنهجه، إلى جانب رأي ديكارت العقلاني، والبنى السطحية (The Surface Structures)، والبنى العميقة (The Deep Structures)، والعناصر التحويلية في الدرس اللغوي الحديث.

ويستجلي البحث دراسة العناصر التحويلية واستنباطها في الجزء الثاني من كتاب الخصائص، كالحذف وأضربه، كحذف الجملة، والمفرد الذي يشمل حذف الاسم، والفعل، والحرف، والزيادة نحو: زيادة الحروف، وعناصر تحويلية أخرى كقواعد إعادة الترتيب (التقديم والتأخير)، مع التركيز على تقديم (المفعول) على (الفاعل)، وقضية الأصالة والفرعية، وقضية العامل.

وتوصَّل البحث إلى أنَّ الجزء الثاني من كتاب الخصائص فيه طروحات قيِّمة، إذ يمكن استنباط بعض الظواهر التحويلية فيه، كالحذف، والتقديم والتأخير، وظواهر أخرى. ويُلحظ التشابه بين طروحات ابن جني، وعناصر المنهج التوليدي ـ التحويلي، أي: أنَّ جل ما ذكره ابن جني يلتقي وعناصر المنهج التحويلي في الدراسات اللسانية الحديثة، وهذه إشارة واضحة تؤكِّد إفادة (جومسكي) من الإرث اللغوي، واستطاع ابن جني بمنهجه التحويلي أن يصل إلى أنَّ الكلام يمكن تحليله إلى المكونات المباشرة بالاستناد إلى عناصر المنهج التحويلي.

Abstract

The importance of this research in studying and deducing transformational elements is highlighted in the second part of the Book of Characteristics, and the roots of this approach extend to the linguistic heritage. We preferred to study the second part; Because it contains various chapters related to the rules of conversion, towards a chapter in Arabic courage, in which there are several transformational elements, such as deletion, submission, delay....etc.

The research monitors the transformational approach and the modern linguistic lesson, as a theoretical guide in which we clarified some of Gomsky's views and his method, in addition to Descartes' rationalist opinion, The Surface Structures, The Deep Structures, and the transformational elements in the modern linguistic lesson.

The research explores the study of transformational elements and their deduction in the second part of the book of characteristics, such as deletion and multiplication, such as deleting the sentence, and the singular which includes deleting the noun, verb, letters, and the increase towards: increasing the letters, and other transformational elements such as the rules of rearrangement (advancement and delay), with a focus on presenting The (object) on (the subject), the case of the original and subsidiary, and the case of the factor.

The research concluded that the second part of the book of characteristics contains valuable propositions, as it is possible to deduce some transformational phenomena in it, such as deletion, advance and delay, and other phenomena. It is noted the similarity between Ibn Jinni's propositions and the elements of the generative-transformational approach, that is: most of what Ibn Jinni mentioned meets the elements of the transformative method in modern linguistic studies, and this is a clear indication confirming the statement (Gomsky) of the linguistic inheritance, and Ibn Jinni was able with his transformative approach to reach to Speech can be analyzed into direct components based on the elements of the transformational approach.

المقدمة

الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وسيِّد المرسلين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وبعد:

فقد أجريت دراسات كثيرة على الجهود اللغوية للعلماء القدماء، إذ تكررت الدراسات والبحوث بخصوص معظمهم ، بيد أنَّ هذا لا يعني استيفاء الجوانب كلها، بل ما زالت هناك ميادين جديرة بالدراسة والتمحيص، وقد يظنُّ أنَّ المنهج التحويلي ثمرة الدراسات الغربية، ولم تكن لها جذور في الإرث اللغوي، والواقع أننا نرى امتداد جذور هذا المنهج إلى الموروث اللغوي، وعليه فقد آثرنا دراسة (العناصر التحويلية في كتاب الخصائص لابن جني ـ الجزء الثاني أنموذجًا)، ويتم التركيز على الجزء الثاني؛ لأنَّ فيه أبوابًا شتَّى تتعلَّق بقواعد التحويل، نحو: باب في الشجاعة العربية وردت فيه ثلة من العناصر التحويلية، كالحذف، والتقديم، والتأخير....هلم جرا.

ويرصد البحث المنهج التحويلي والدرس اللغوي الحديث، كمهاد نظري، وضَّحنا فيه بعض آراء جومسكي ومنهجه، إلى جانب رأي ديكارت العقلاني، والبنى السطحية (The Surface Structures)، والبنى العميقة (The Deep Structures)، والعناصر التحويلية في الدرس اللغوي الحديث.

ويستجلي البحث دراسة العناصر التحويلية واستنباطها في الجزء الثاني من كتاب الخصائص، كالحذف وأضربه، كحذف الجملة، والمفرد الذي يشمل حذف الاسم، والفعل، والحرف، والزيادة نحو: زيادة الحروف، وعناصر تحويلية أخرى كقواعد إعادة الترتيب (التقديم والتأخير)، مع التركيز على تقديم (المفعول) على (الفاعل)، وقضية الأصالة والفرعية، وقضية العامل. والمنهج الذي اتَّبعه البحث منهج وصفي وتحليلي ـ تطبيقي.

مهاد نظري

في مفهوم المنهج التحويلي والدرس اللغوي الحديث

يعدُّ المنهج التحويلي من المناهج اللغوية الحديثة في الدراسات اللغوية الغربية، وتعزى نظرية النحو التحويلي إلى اللغوي الأمريكي (أفرام نعوم جومسكي)، وهذه النظرية هي "قواعد لها القدرة على الحذف والإضافة، وتحريك العنصر من مكانه، أو تعويضه بعنصر آخر، والتحويلات ....تقوم بتحويل البنية العميقة إلى البنية السطحية، أو تحويل خيط إلى خيط آخر"[١].

بعض المفاهيم التحويلية

يرتكن المنهج التحويلي إلى كثير من العناصر، من أبرزها:

الكفاءة اللغوية/

تعني القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلُّم اللغة، وقد انطبع الإنسان على هذه الكفاءة منذ طفولته، وذلك من خلال مراحل اكتسابه للغة. وهي بمثابة ملكة لا شعورية تجسِّد العملية الآنية التي يؤديها متكلم اللغة بهدف صياغة جملة معينة، وذلك طبقاً لتنظيم القواعد الضمنية الذي يربط بين الأصوات اللغوية ودلالاتها[٢].

ومن الطبعي أنَّ الإنسان بمقدوره إنتاج عدد غير متناه من الجمل، ويصف (جومسكي) هذه السمة الإنتاجية بالإبداعية التي تتجلَّى "عبر قدرة المتكلم على إنتاج وتفهُّم عدد غير متناه من الجمل لم يسبق لها سماعها من قبل"[٣]، وهذا يسمَّى عنده بالكفاءة اللغوية[٤]. وقد وصف بعضهم هذا بتناهي الألفاظ وعدم تناهي الجمل، أي: أنَّ كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات وعدد غير متناه من الجمل[٥].

وميَّز (جومسكي) "بين الكفاءة اللغوية وما يسمِّيه بالأداء الكلامي، فالكفاءة اللغوية هي معرفة الإنسان الضمنية لغته، في حين أنَّ الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة في سياق معيَّن"[٦]. وهذان المصطلحان الأداء (Performance)، والكفاءة (Competence)،

---

[١] البنى النحوية/١٥٤، وينظر: جوانب من نظرية النحو/ ١٠ ،١١، وفي نحو اللغة وتراكيبها/ ١٧٩.

[٢] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٤٥، وينظر: الألسنية (قراءات تمهيدية)/ ٧٤، ٧٥.

[٣] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٣٠، وينظر: مدخل إلى علم اللغة/ ٧١، وعلم اللغة/ ٦٩.

[٤] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٤٥.

[٥] الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين/ ٢٠، ٢١.

[٦] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٤٥.

يمثّلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية التحويلية عند (جومسكي)، ودراسة الأداء تعني بنية السطح التي تقدم التفسير الصوتي للغة، أمَّا دراسة الكفاءة فهي تعني دراسة بنية العمق التي تقدم التفسير الدلالي لها[١].

وتعتني نظرية الكفاءة اللغوية باكتشاف تنظيم القواعد الضمنية الذي يمثل البنى اللغوية الكامنة ضمن الكلام العادي، في حين تتوخَّى نظرية الأداء الكلامي دراسه المبادئ التي يستعملها المتكلم في إنتاج الكلام وتفهُّمه[٢]، وتوضِّح هذه النظرية كيفية استطاعة المتكلم لإنتاج الجمل التي لا حصر لها من عناصر لغوية محدودة مع تمييز ما هو مقبول نحوياً ممَّا هو ليس مقبولا، وبعبارة أخرى أنَّ النحو ينبغي أنْ يكون صالحًا لتوليد الجمل النحوية كلها في اللغة، وعليه فقد عرَّف (جومسكي) هذا النحو بأنَّه توليدي، وهذا المصطلح في الإنجليزية يعني (Generative)، يقترن غالباً بالتحويلية (Transformational Generative Grammar)، ويعرف الآن بالرمزين (T.G. Grammar)[٣].

وتجدر الإشاره إلى أنَّ (جومسكي) يمثّل ثورة حقيقية، وهذا ما حدا بـ (جون سيرل) أنْ يكتب مقالا بعنوان (تشومسكي والثورة اللغوية)[٤]. وعليه، فالعملية اللغوية في مفهوم (جومسكي) هي ملكة لا شعورية آنية، يؤديها المتكلم معولا على القواعد الضمنية التي تربط بين الأصوات اللغوية ودلالاتها.

رأي ديكارت العقلاني في المنهج التحويلي

تتَّخذ المدرسة التحويلية من منهج ديكارت العقلاني أساساً في فهم الظاهرة اللغوية وتحليلها، وقد ربط (جومسكي) اللغة بالعقل، وأنَّ ربط اللغة "بالعمليات العقلية قد أفضى إلى نتائج مهمة في تأسيس المنهج التحويلي عند (جومسكي)، وزملائه، وتلاميذه، بحيث تغيّر الاتجاه تغييراً يكاد يكون كاملا عمَّا كان عليه"[٥].

خلاصة منهج (ديكارت) تكمن في أنَّ الحيوان آلة يمكن تفسر كل ما يصدر عنه تفسيراً آلياً؛ لأنَّ الأجسام المادية كلها تخضع للقوانين الآلية، والحيوان جسم مادي؛ لأنَّه لا عقل له ولا شعور، أمَّا الإنسان فهو ليس آلة ولا يخضع للتفسير الآلي. وركَّز (ديكارت) على أهم فرق بين الإنسان والحيوان، والفرق كامنٌ عنده في القدرة على اللغة، فالإنسان قادر على

---

[١] النحو العربي والدرس الحديث/ ١١٥، وينظر: الألسنية (قراءات تمهيدية)/ ٧٤، ٧٥.

[٢] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٢٦٢.

[٣] النحو العربي والدرس الحديث/ ١١٧.

[٤] المقالة منشورة في مجلة الفكر العربي، العددان الثامن والتاسع/ ١٢٣.

[٥] النحو العربي والدرس الحديث/ ١٢٦.

اللغة وأمَّا الحيوان فعاجز عنها[١]، أي: أنَّ الإنسان قادر على اللغة وترتيب الكلمات بطرق متباينة؛ ليعبِّر بها تعبيرًا لائقًا، في حين أنَّ الحيوان ليس بمقدوره فعل ذلك، مهما بلغت درجته من الكمال، ومهما أعانته الظروف المحيطة به[٢].

وهذا يؤكِّد أنَّ اللغة تعدُّ "في ظل المبدأ العقلاني، تنظيمًا عقليًا فريدًا من نوعه، تستمدُّ حقيقتها من حيث إنَّها أداة التعبير والتفكير الإنساني الحر"[٣]، وأخذ التحويليون المبدأ العقلاني واستعملوه في تحليل الظاهرة اللغوية بعد إلحاق بعض الإضافات به؛ ليتواءم ونظريتهم اللغوية، وأنَّ العلاقة بين العقل واللغة لم تكن حديث التحويليين فحسب، بل هو حديث كثير من اللغويين القدامى والمحدثين، ويتلخَّص ذلك في توجيههم للغة والفكر، وتحكيم أي منهما على الآخر. وقد عوَّلت النظرية التحويلية توجيه الفكر للغة[٤]، وما سبق ذكره آنفًا برهان على انخراط (جومسكي) في سلك العقلانيين الذين يرون أنَّ العقل الإنساني هو وسيلة المعرفة، ويربطون بين العقل ومقدور الإنسان على توليد عدد غير متناه من الجمل.

القوانين التحويلية

هناك قوانين تحويلية متعددة يرتكن إليها المنهج التحويلي لا بدَّ من الإيفاء بها، من أبرزها:

البنية العميقة والبنية السطحية

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ القواعد التحويلية ترتبط بالبنية العميقة (The Deep Structure) للجمل، وتكون العلاقات المعنوية في البنية العميقة واضحة تمامًا[٥]، و"تعبِّر عن المحتوى الدلالي لجملة صحيحة الصياغة"[٦].

يؤكِّد (جومسكي) أنَّ البنية العميقة هي أساسية للتفهُّم وإعطاء التفسير الدلالي وإنْ لم تكن ظاهرة في الكلام، وهذه البنية ضمنية تتمثَّل في ذهن المتكلم، فهي حقيقة عقلية قائمة يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكوِّن البنية السطحية؛ لأنَّها ترتبط بالدلالات اللغوية وتحدِّد التفسير الدلالي للجمل، في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة

---

[١] النحو العربي والدرس الحديث/ ١٢٠، ١٢١، وينظر: الألسنية (قراءات تمهيدية)/ ٣٩.

[٢] في علم اللغة التقابلي/ ٣٨.

[٣] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٧٤.

[٤] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ٤٣.

[٥] المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٧٩.

[٦] جوانب من نظرية النحو/ ١٧٦.

وتحدِّد التفسير الصوتي للجمل[١]، وتمثِّل البنية العميقة "العقلية أو الناحية الإدراكية في اللغة (Conceptual Structure)[٢]، وهذا يدلُّ على أهميتها الخاصة في البحث اللغوي التحويلي؛ لأنَّها معيار للأسس المعنوية لها[٣].

أمَّا البنية السطحية (The Surface Structure)، "فهي تمثِّل الجمل التي طرأت عليها التغييرات البنيوية، من خلال (القواعد التحويلية)، تقوم بعملية الربط بين البنية العميقة والبنية السطحية"[٤]، فضلا عن تحديد جانب من المعنى[٥]، ومن الباحثين من ينكر أثر البنية السطحية في تحليل التراكيب وتفهُّم المعنى، الدكتور (عبده الراجحي)، إذ قال: إنَّ "وصف البنية السطحية (The surface Structure)، لا يقدِّم شيئا بل لا يعتبر علماً؛ لأنَّه لا يفسِّر شيئا، ولكن المهم هو ... البنية التحتية أو البنية العميقة"[٦]، والحقيقة أنَّ رأيه يجانب الصواب، فلا يمكن إنكار أثر البنية السطحية للتراكيب، بل يمكن إعطاء الأولوية أو الأثر الكبير للبنية العميقة؛ لأنَّ هاتين البنيتين تعملان معاً، أي: إحداهما تكملة للأخرى.

والقواعد التحويلية تحوِّل الأدلة النظمية إلى أدلة نظمية أخرى، عن طريق الاستبدال، أو الإضافة، أو الحذف لبعض العناصر، فعلى سبيل المثال يمكن بوساطة قواعد جومسكي التحويلية شرح التماثل بين (خالد عريض الجبين)، و(جبين خالد عريض)، وذلك بإظهار كيفية تحويل الدليل النظمي للجملة الأولى بوساطة بعض التحويلات من تقديم، أو تأخير، أو حذف،.... إلى الدليل النظمي للجملة الثانية من دون أي تغيير في المعنى، وبذلك يمكن اشتقاق الجملتين انطلاقاً من الدليل النظمي الكامن أو المقدَّر نفسه الذي يعين وحدة المعنى بين الجملتين على الرغم من تغاير بنيتها السطحية[٧]، بيد أنَّ هذا لا يعني انعدام أثر البنية السطحية في نسق التراكيب داخل الجمل.

يتَّضح ممَّا سبق: أنَّ البنية العميقة لها أهميتها الخاصة لنسق التراكيب في الجمل، وهي التي تحدِّد التفسير الدلالي للجمل، أمَّا البنية السطحية فتحدِّد التفسير الصوتي للجمل، وهما تشاركان معاً في تحديد التراكيب وتفسيرها؛ فلا تفسير بدون صوت.

---

[١] الألسنية (المبادئ والإعلام)/٢٦٨، والمنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٧٩.

[٢] النحو العربي والدرس الحديث/ ١٤٧.

[٣] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ٤٥.

[٤] جوانب من نظرية النحو/ ١٥.

[٥] تشومسكي والثورة اللغوية/ ١٣٣.

[٦] النحو العربي والدرس الحديث/ ١١٣.

[٧] تشومسكي والثورة اللغوية/ ١٣١، وينظر: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٧٩، ٢٨٠.

العناصر التحويلية في الجزء الثاني من كتاب الخصائص

تكمن العناصر التحويلية المغيّرة لنسق التراكيب في الجمل على النحو الآتي:[١]

أوَّلا/ الحذف (Deletion): يكون بحذف بعض العناصر النحوية، يمكن توضيح ذلك في المعادلات الآتية:

أ + ب ⟵ ب أو أ ⟵ نحو:

جاء محمَّدٌ محمَّدٌ أو جاء. أو نحو: أكرمَ محمَّدٌ سعدًا ⟵ أكرمَ محمَّدٌ أو أُكرِمَ سعدٌ أو أكرمَ سعدًا.

ويتم الحذف لأغراض كثيرة منها: الإيجاز، والتخلص من التكرار ... وأغراض أخر، والحذف "عنصر من عناصر التحويل ... يعني أي نقص في الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية، لغرض في المعنى، وتبقى الجملة تحمل معنًى يحسن السكوت عليه، وتحمل اسمها الذي كان لها قبل أن يجري عليها التحويل"[٢].

وفطن العلماء الأوائل إلى وجود ظاهرة الحذف، وقد أشار سيبويه (ت ١٨٠هـ) إلى الحذف عند العرب بقوله: "اعلم أنَّهم ممَّا يحذفون الكلم، وإنْ كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصلُهُ في كلامهم أنْ يُسْتَعْمَلَ حتى يصير ساقطًا"[٣]، ووصف عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) الحذف بباب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فيمكن أنْ يُرى به ترك الذكر أفصح من الذكر[٤].

وذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أنَّ الحذف لا يجوز في الجملة إلّا إذا دلَّ عليه دليل، ويُستشف هذا من قوله: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه. وإلّا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"[٥]، وقد أفرد ابن جني في الجزء الثاني من كتابه (الخصائص) بابًا يحمل عنوان (في الشجاعة العربية) ذكر فيه ثلة من الأساليب التي تردَّدت في كلام العرب، والأقوال المأثورة، والعبارات الشائعة كالحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، وهذه العناصر كلُّها تندرج في ثنايا المنهج التحويلي.

---

[١] النحو العربي والدرس الحديث/ ١٢٨ ـ ١٤١، وينظر: في نحو اللغة وتراكيبها/ ٦٦، ٦٧، والأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية/ ٦١، والثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز/٣٦.

[٢] في نحو اللغة وتراكيبها/ ١٣٤.

[٣] الكتاب: ١/٢٤، ٢٥.

[٤] دلائل الإعجاز/ ١٤٦.

[٥] الخصائص: ٢/٣٦٠.

أنماط الحذف عند ابن جني

يكون الحذف عند ابن جني إمَّا في الجملة أو في المفرد، أو في الحرف، أو في الحركة[١]، "ولا يخفى مغزى تنبُّه ابن جني لضرورة وضوح الدلالة والإبانة عن المعنى بشكل لا لبس فيه، وهو شرط لازم لفصاحة الكلام، بل هو جوهر الفصاحة"[٢].

١ـ حذف الجملة:

فمن أمثلة حذف الجملة "قولهم في القسم: والله لأفعلت، وتالله لقد أفعلت، وأصله أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال ـ من الجار والجواب ـ دليلا على الجملة المحذوفة"[٣]، يمكن توضيح هذا في المخطط الشجري الآتي:

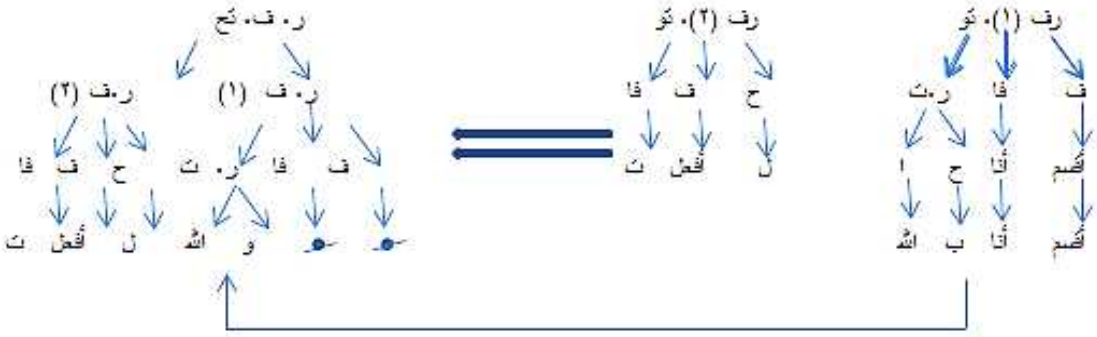

يرى المتأمل أنَّ ابن جني قد تفطَّن إلى تركيبين، أحدهما: توليدي أصلي، جرى فيه التحويل بالحذف والإبدال، والثاني تحويلي يمثِّل التركيب القسمي المستعمل. وفي رأيه أنَّه تحذف الجملة من الفعل والفاعل؛ لمشابهتها المفرد بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل، نحو: ضربت ويضربان، وقامت هندٌ وحبَّذا خالدٌ.... ممَّا يدلُّ على شدَّة اتصال الفعل بالفاعل وهو بمنزلة الجزء الواحد[٤].

ولعلَّ مراد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هو الإشارة إلى الجانب اللفظي من تركيب الجملة الفعلية التي يتَّحد فيها الفعل بفاعله المضمر في كلمة واحدة، فيسهِّل حذفهما معًا، والأمر الذي لا يتيسَّر في جملة المبتدأ والخبر إلَّا نادرًا؛ لأنَّه لا يبقى ما يدلُّ عليهما من متعلقاتهما كما هو الشأن في الجملة الفعلية[٥].

---

[١] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[٢] المباحث الأسلوبية عند ابن جني/٤١، (بحث منشور).

[٣] الخصائص: ٢/ ٣٦٠.

[٤] الخصائص: ٢/ ٣٦١.

[٥] المباحث الأسلوبية عند ابن جني/٤١، (بحث منشور).

ومن نماذج حذف الفعل والفاعل نحو: "زيدًا ضربتُهُ؛ لأنك أردت: ضربت زيدًا، فلما أضمرت (ضربت) فسَّرت بقولك: ضربتُهُ"[١]، والتخطيط الآتي يوضِّح ما ذكرناه:

ضربْتُ زَيدًا ⟸ (التحويل بالحذف) زيدًا ⟸ (التحويل بالتقديم والإضافة) زيدًا + ضربْتُ (هُ)

ونابت (الهاء) في (ضربته) عن الفعل والفاعل. وعليه، فلا يحذف شيء عند ابن جني إلَّا إذا دلَّ عليه دليل.

٢ ـ حذف المفرد:

تناول ابن جني حذف الاسم، والفعل، والحرف على مستوى حذف المفرد.

أ: حذف الاسم: في حذف الأسماء عرض لحذف المبتدأ والخبر، والمضاف، والمضاف إليه، والمعطوف، والمعطوف عليه، والمستثنى، وخبر(إن) مع النكرة، وخبر (إن) مع المعرفة عند البصريين، والمفعول الثاني في (أزيدٌ ظننته منطلقًا)، وخبر كان، والمنادى، والتمييز، والحال، والمصدر، والفضلة[٢]، ولكثرة مواطن حذف الاسم يقتصر البحث الاستشهاد بحذف المفعول والمضاف إليه. ففيما يتعلَّق بحذف المفعول عرض ثلَّة من الآيات الكريمات والتعبيرات التي وردت عند العرب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾[٣]، أي: (تذودان) إبلهما ولو نُطق بالمفعول لما كان في عذوبة حذفه ولا في علوه[٤]، يمكن توضيحه في هذه المعادلة الآتية:

ووجد من دونهم امرأتين تذودان إبلهما ⟸ ووجد من دونهم امرأتين تذودان (التحويل بحذف المفعول)

والذود بمعنى الطرد والدفع، وإنما كانتا تذودان؛ لأنَّ على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي، وقيل: كانتا تكرهان المزاحمة على الماء، وذلك لئلَّا تختلط أغنامهما وقيل: تذودان عن وجوههما لنظر الناظر لتسترهما[٥]. والحذف ليس بجيد في كل موضع ولا

---

[١] الخصائص: ٢/ ٣٧٩.

[٢] الخصائص: ٢/ ٣٦٢ وما بعدها.

[٣] الآية ٢٣ من سورة القصص.

[٤] المحتسب: ١/ ٣٣٣، وينظر: ٢/ ٣٣٥.

[٥] الكشاف: ٣/ ١٦١.

مقبول في كل مكان، فقد يكون ذكر المفعول في بعض الأحوال أجود من الحذف، وحتى استحسن إظهاره في بعض المواضع[١].

أمَّا فيما يتعلق بحذف المضاف إليه، فقد حُذف في نحو قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [٢]، أي: "من قبل ذلك ومن بعده. وقولهم: ابدأ بهذا أوَّلُ، أي: أوَّلُ ما تفعل. وإن شئت كان تقديره: أول من غيره، ثم شبَّه الجار والمجرور هنا بالمضاف إليه؛ لمعاقبة المضاف إليه إيَّاهما. وكذلك قولهم: جئت من علُ، أي: من أعلى كذا"[٣]. ويمكن توضيح ذلك في المعادلة الآتية:

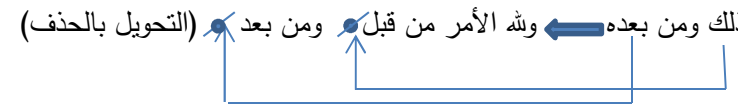

ب: حذف الفعل:

حذف الفعل عند ابن جني ضربان، ضرب يُحذف الفعل مع فاعله وهو من باب حذف الجملة، سبق الحديث عن هذا النوع آنفاً[٤]، وضرب يحذف الفعل وحده، وقد وقع الخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه المسألة، فمذهب البصريين فيها أنَّها ممَّا حذف فيه الفعل وفسّر بفعل آخر ملفوظ[٥]، نحو قوله تعالى: **چ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ چ**[٦]، وهذا ما يندرج ضمن مسألة جواز الفعل بعد أداة الشرط، بمسوّغ تقديم الفاعل في عبارة الشرط[٧]، فتقدم الفاعل (السماء) للعناية والاهتمام، ولتمييزه من غيره في هذا المقام، كما سيتبيَّن في التقديم والتأخير لاحقاً.

ج: حذف الحروف:

عقد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في حذف الحروف وزيادتها باباً أوضح فيه أنَّ حذف الحروف ليس قياساً، لأنَّ الحروف إنَّما دخلت الكلام ؛ لضرب من الاختصار، فلو ذهبت إلى حذفها لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به[٨]، إلَّا إذا صحَّ التوجُّه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه؛ لقوة الدلالة عليه، وتفسير قوله: "إنَّما دخلت الكلام؛

---

[١] دلائل الإعجاز/ ١٧١، ١٧٢.

[٢] الآية ٤ من سورة الروم.

[٣] الخصائص: ٢/ ٣٦٣.

[٤] تنظر الصفحة (١٠) من هذا البحث.

[٥] المباحث الأسلوبية عند ابن جني/٤٣، (بحث منشور).

[٦] الآية ١ من سورة الانشقاق.

[٧] في النحو العربي نقد وتوجيه/ ٢١٦.

[٨] الخصائص: ٢/٢٧٣، والمباحث الأسلوبية عند ابن جني/٤٣، (بحث منشور).

لضرب من الاختصار هو أنَّك إذا قلت: ما قام زيدٌ، فقد أغنت (ما) عن أنفي، وهي جملة فعل وفاعل، كما نابت الهمزة و(هل) عن أستفهم[١]، وعليه، فالقياس هو عدم جواز حذف الحروف وزيادتها، إلَّا أنَّها مع ذلك حُذفت تارة، وزيدت تارة أخرى. ومثال حذفها كنحو ما حكاه أبو عثمان عن أبي زيد من حذف حرف العطف في قولهم: أكلت لحمًا سمكًا تمرًا[٢]، فحذفت الواو، التقدير: أكلتُ لحمًا وسمكًا وتمرًا، فحذف حرف العطف خطوة تحويلية تتبيَّن في المخطط الآتي:

وقد يحذف حرف الجر "ومن ذلك ما كان يعتاده رؤية إذا قيل له: كيف أصبحت؟ فيقول: خير عافاك (أي: بخير)"[٣]، فحذف (الباء) جعل الجملة تحويلية.

يتَّضح ممَّا سبق: أنَّ عنصر الحذف وجد في الجزء لثاني من كتاب (الخصائص)، وجلُّ ما ذكره ابن جني يجتمع في ثلاث نقاط:

١- إنَّ الحذف لا يجوز إلَّا إذا دلَّ عليه دليل من اللفظ والحال.

٢- لا يجوز الحذف والزيادة في موضع واحد من الكلام؛ لأنَّ ذلك يفضي إلى التناقض ويفسد الغرض من الحذف.

٣- الحذف الذي يجري في سائر التعبيرات عند النحاة دليلٌ على حقيقة العربية وميلها الشديد إلى الإيجاز[٤]. وقد مثَّل ابن جني بشواهد متنوعة لكلٍّ من حذف حرف العطف، وحرف الجر، والرابط في جواب الشرط وحرف الاستفهام[٥].

---

[١] الخصائص: ٢/ ٢٧٤، وينظر: المحتسب: ٥١/١.

[٢] المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٠.

[٣] المصدر نفسه: ٢٨١/٢.

[٤] أثر النحاة في البحث البلاغي عند العرب/ ٣٠٠.

[٥] ينظر: الخصائص: ٢/ ٢٨٠، ٢٨١، وما بعدها.

ثانيًا/ الإضافة والزيادة (Addition): تكون بإضافة عنصر لغوي إلى التركيب، أو بإضافة تركيب إلى آخر، سواء أكانت الإضافة بمورفيمات النسق أو بغيرها، أو بدونها، يمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

أ + ب ← أ + ب + ج ← نحو: جاء محمَّدٌ ← جاء محمَّدٌ وبكرٌ ← جاء محمَّدٌ العالم

أو أ + ب ← (أ + ب) + (ج + ب) ← (أ + ب + ج) نحو:

يسعى محمَّدٌ ← (يسعى محمَّدٌ) + (يجتهدُ محمَّدٌ) ← (يسعى محمَّدٌ ويجتهِدُ)[١].

وتمثّل الزيادة ظاهرة طارئة على ثلّة من الوحدات اللغوية داخل التركيب؛ ليكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، كما أنّه عنصر من العناصر المعتمدة عند التحويليين في عملية توليد تركيب جديد؛ لأنَّ الزيادة هي أيَّة زيادة على الجملة التوليدية النواة؛ لتحويلها إلى جملة تحويلية؛ لغرض في المعنى ويعبِّر عنها النحاة بـ (الفضلات)[٢].

وتأتي الزيادة؛ لتكسب التركيب ـ داخل الجمل ـ أشكالا جديدة، وتضفي عليه دلالة إضافية، والزيادة تدخل ضمن المنهج التحويلي الذي يغيِّر الجمل المولّدة من المكوّن الأساسي من حالة إلى أخرى[٣]، وقد فطن العلماء العرب إلى الزيادة في مصنَّفاتهم، فعلى سبيل المثال، أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى زيادة الحروف التي للتوكيد ولتقوية المعنى، كـ (من) الواقعة قبل الفاعل في جملة (ما أتاني من أحدٍ إلّا زيدٌ)، والأصل: (ما أتاني أحدٌ إلّا زيدٌ)، وذكر أنَّ معنى الجملتين (ما أتاني أحدٌ)، و(ما أتاني من أحد) واحدٌ، ولكن دخلت (من) في الجملة الثانية توكيدًا[٤]، وهناك أمثلة كثيرة في الجزء الثاني من كتاب الخصائص يتَّضح فيها الأثر الذي يتركه هذا اللون من التراكيب النحوية، وأنَّ زيادة الحروف لا يسوِّغها القياس لدى ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، أي: حذف الحروف ليس قياسًا[٥]. ومن قبيل زيادة الحروف: زيادة اللام في خبر كان وأخواتها، نحو قول الشاعر[٦]:

مرّوا عجالا وقالوا كيف صاحبكم قال الذي سألوا أمسى لَمجهودا[٧]

---

[١] الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز/٣٦.

[٢] في نحو اللغة وتراكيبها/ ١٣٤، ٩٦.

[٣] المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٨٧.

[٤] الكتاب: ٢/ ٣١٦، والمنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٨٨.

[٥] الخصائص: ٢/٢٧٩.

[٦] المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٣.

[٧] لم ينسبوا هذا البيت إلى أحد.

فزيدت اللام هنا ؛ للتوكيد، يتَّضح هذا في المعادلة الآتية:

أمسى مجهودا ← أمسى (لـ) مجهودا ← التحويل بالإضافة

وذكر ابن جني أنَّ زيادة الحروف كثيرة، وإنْ كانت خارجة عن القياس[١]، ثم ذكر السبب في زيادة الحروف قائلا: "وأمَّا زيادتها فلإرادة التوكيد بها"[٢].

ضمن باب الزيادة أشار ابن جني إلى (مثل) وبيَّن أنَّها ليست زائدة كما ذهب إلى ذلك بعضهم، وإنَّما جاءت؛ لغرض بلاغي قصد به التثبيت والتوكيد، ويستشف هذا من قوله: "ونحو من هذا اعتقادهم زيادة (مثل) في نحو قولنا: مثلي لا يأتي القبيح، ومثلك لا يخفى عليه الجميل، أي: أنا كذا، وأنت كذلك.... وتأويله، أي: أنا من جماعة لا يرون القبيح، وإنَّما جعله من جماعة هذه حالها؛ ليكون أثبت للأمر، إذا كان له فيه أشباه وأضراب، ولو انفرد هو به، لكان غير مأمون انتقاله منه وتراجعه عنه. فإذا كان له فيه نظراء كان حري أنْ يثبت عليه، وترسو قدمه فيه"[٣].

ولمَّا علَّق على ما حكاه ابن مجاهد عن ابن عبَّاس: أنَّه قال: لا تقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [٤]؛ لأنَّ الله تعالى ليس له مثل، بل اقرأ (بما آمنتم به)، واستحسن ابن جني هذه القراءة، وذكر أنَّ العرب قد تأتي بمثل في نحو هذا؛ توكيداً وتسديداً[٥].

يتراءى من جلِّ ما تقدَّم: أنَّ ابن جني قد تفطَّن إلى التراكيب التحويلية ـ قبل جومسكي ـ والتحويل ليس شرطًا أنْ يتحقَّق بالحذف والإضافة فحسب، وإنَّما يتحقَّق بعناصر أخر.

ثالثًا/ الترتيب (Permutation) أو الموضعية (Local): يشمل حالات التقديم والتأخير للبنى اللغوية في داخل السياق، ويمكن التعبير عن ذلك بالمعادلات الآتية[٦]:

أ + ب ← ب + أ نحو: محمَّدٌ منطلقٌ ← منطلقٌ محمَّدٌ

أو: أ + ب + ج ← أ + ج + ب ← ب + أ + ج نحو:

أكرمَ محمَّدٌ عليّا ← أكرمَ عليّا محمَّدٌ ← محمَّدٌ أكرمَ عليّا

---

[١] الخصائص: ٢/٢٨٤.

[٢] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[٣] الخصائص: ٣/٣٠، ٣١.

[٤] الآية ٣٧ من سورة البقرة.

[٥] المحتسب: ١/ ١١٣.

[٦] الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز/ ٣٦.

يعدُّ التقديم والتأخير عنصراً تحويلياً مهماً تستدعيه مقامات مختلفة، وقاعدة رئيسة من قواعد النظرية التوليدية التحويلية في الدراسات الغربية، وموضوع بلاغي احتضنه علم المعاني. وقد وقف العلماء عند هذه الظاهرة كثيراً، وبيَّنوا أهميتها ووظيفتها[١].

و"تؤدِّي اللغة وظيفتها بترتيب المفردات وتراكيبها؛ لتبلغ غايتها في الإفادة وهي الإفهام"[٢]؛ لأنَّ لكل لغة ترتيبها الخاص، ولكن المهم هو معرفة الترتيب في البنية العميقة أوَّلا، ثم البحث عن القوانين التي تحكم تحوُّل هذا الترتيب إلى أنماط مختلفة في الكلام الفعلي على السطح[٣]. ولا شكَّ في "أنَّ للجملة العربية نظاماً خاصاً ينبغي أنْ يراعى، وأنَّ تغيير مواقع الألفاظ في الجملة له ما يسوِّغه من الناحية المعنوية والدلالية"[٤]، وإذا اختلَّ هذا النظام من إحدى النواحي، لم يحقّق الكلام الغرض المقصود منه وهو الإفهام[٥]. وتأسيساً على هذا، فيعدُّ بعض الباحثين المحدثين الترتيب من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً؛ لأنَّ المتكلم يقدِّم ما حقّه التأخير، ويؤخِّر ما حقّه التقديم، ويكون ذلك؛ استدعاءً لإظهار ترتيب المعاني في النفس،وأنَّ الترتيب أمر يراد به سرا من أسرار العربية، ووسيلة يقرِّب بها المعنى العميق والدلالة البعيدة. وقد سلك فيه العلماء سبيلين اثنين وهما: سبيل النحو، وسبيل البلاغة[٦]، وأنَّ قيمة التقديم والتأخير واضحة في اللغة العربية، وليس من العبث أن يشغل العلماء أنفسهم بهذا العنصر اعتباطاً، وإنَّما عن تمعُّن وانتباه؛ لأنَّ لكل تعبير معناه، ولكلِّ وضع هدفه ومغزاه، وفي ذلك اتساعٌ في القول وقدرة على التعبير[٧].

وذهب النحويون وعلماء البلاغة إلى أنَّ تقديم أي عنصر من عناصر الجملة إنَّما يكون؛ للاهتمام بذكره، والعناية به، أو لتخصيصه دون سواه، ممَّا يمكن أنْ يقع موقعه أو أنَّ في التأخير إخلالا ببيان المعنى أو بالتناسب في الفواصل والأسجاع[٨]، وقد جاء التقديم

---

[١] الكتاب: ٣٤/١، وينظر: معاني القرآن ـ الأخفش: ٢/ ٥٢٠، والمقتضب: ٣/ ٩١.

[٢] المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٨٢.

[٣] النحو العربي والدرس الحديث/ ١٥٤.

[٤] ابن جني وعلم الدلالة/٢٥٩، (رسالة ماجستير).

[٥] من أسرار اللغة/ ٢٩٥.

[٦] في نحو اللغة وتراكيبها/٨٨، ٩٢.

[٧] أساليب بلاغية/ ١٧٥.

[٨] المباحث الأسلوبية عند ابن جني/ ٤٣، (بحث منشور). وينظر: الكتاب: ٣٤/١، والخصائص: ٢/ ٣٨٢، والمحتسب: ٦٥/١، ودرة التنزيل/ ٤١، ٤٢، ودلائل الإعجاز/ ٨٢، والإيضاح/١١٤.

والتأخير على صور متعددة، منها تقديم المفعول على الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [١]، يمكن توضيح هذا بالمعادلة الآتية:

إنما يخشى العلماء الله ⟸ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ / التحويل بالتقديم

وأشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى عنصر التقديم والتأخير، قال في جملة (ضربَ عبدُ الله زيدًا): "عبدُ الله ارتفع ههنا ..... وشغلت به (ضَرَبَ) ..... وانتصب (زيدٌ)؛ لأنَّه مفعول تعدَّى إليه فعل الفاعل"[٢]. فلو عبَّرنا عن تحليل الجملة إلى مكوّناتها المباشرة بالمخطط الشجري (Tree Diagram) لكان شكل بنية الجملة على هذا النحو[٣]:

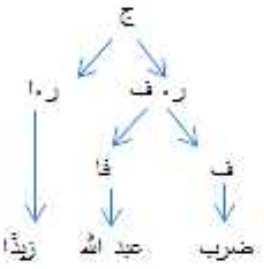

وسوَّغ سيبويه لهذا بقوله: "إنَّما يقدِّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعني، وإنْ كان جميعًا يهمَّانهم ويعنيانهم"[٤].

أمَّا ابن جني (ت٣٩٢هـ) فقد عقد فصلا كاملا في الجزء الثاني من كتاب الخصائص في التقديم والتأخير، فجاء التقديم على صورة متعددة لديه، كتقديم المفعول به، والمستثنى، وخبر المبتدأ، وخبر الأفعال الناسخة، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والمعطوف، والتمييز، وتقديم جواب الشرط[٥] ....هلم جرا. ولا يمكن الوقوف على هذه الأنواع جميعًا؛ تجنبًا للإطالة، بل يكفي الوقوف على أنموذجين اثنين وهما تقديم المفعول على الفاعل؛ وتقديم الصفة على الموصوف؛ لأهميتهما وكثرة دورانهما في كلام العرب.

---

[١] الآية ٢٨ من سورة فاطر.

[٢] الكتاب: ١/٣٤.

[٣] المنهج الوصفي في كتاب سيبويه/ ٢٨٤.

[٤] الكتاب: ١/٣٤.

[٥] ينظر: الخصائص: ٢/ ٣٨٢ وما بعدها.

أ- تقديم المفعول على الفاعل:

إنَّ المفعول قد شاع واطَّرد من مذاهبهم كثرة تقدُّمه على الفاعل، وفي ذلك ذكر أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) إنَّ تقدُّم المفعول على الفاعل قسمٌ قائمٌ برأسه، كما أنَّ تقدُّم الفاعل قسمٌ قائمٌ برأسه - أيضًا- وإنْ كان تقديم الفاعل أكثر، وجاء به الاستعمال مجيئا واسعًا[١] عند العرب، وحتَّى يصير تقديم المفعول لمَّا استمر وكثر، كأنَّه هو الأصل، وتأخير الفاعل كأنَّه أيضًا هو الأصل. وعليه، فيندرج هذا النوع من التقديم والتأخير ضمن الضرب الذي يقبله القياس، كقولك: ضربَ زيدٌ عمرو[٢]. وذكر ابن جني أنَّ أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل، نحو: (ضربَ زيدٌ عمرًا)، فإذا عناهم ذكر المفعول قدَّموه على الفاعل، فقالوا: (ضَرَبَ عمرا زيدٌ)، فإنْ ازددت عنايتهم به ما قدَّموه على الفعل الناصبة، فقالوا: (عمرا ضَرَبَ زيدٌ). فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنَّه رب الجملة، وتجاوزوا به حدّ كونه فضلة، فقالوا: (عمرو ضربه زيدٌ)، فجاؤوا به مجيئا يأتي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: (عمرو ضربَ زيدٌ)، فحذفوا ضميره، ولم ينصبوه على ظاهر أمره ... ثم أنَّهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنَّه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرًا أو مضمرًا، فقالوا: (ضُرِبَ عمرو) فاتَّضح ذكر الفاعل البتَّة[٣]، ولو عبَّرنا عن تحليل الجملة إلى مكوّناتها المباشرة بالمخطط الشجري لكان شكل بنية الجملة على النحو الآتي:

وفي التعليق على قراءة يزيد البربري لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[٤]، بالبناء للمفعول (وعُلِّمَ آدمُ الأسماءَ كُلَّها) يعقد ابن جني مبحثًا طريفًا لتقديم المفعول به[٥] "يفسِّر فيه الدوافع النفسية والبيانية التي تقف وراء هذه الظاهرة الأسلوبية في كلام العرب"[٦].

---

[١] الخصائص: ١/ ٢٩٥، وينظر: أثر النحاة في البحث البلاغي عند العرب/ ٨٥.

[٢] الخصائص: ٣٨٢/٢.

[٣] المحتسب: ٦٥/١، والمباحث الأسلوبية عند ابن جني/ ٤٣، (بحث منشور).

[٤] الآية ٣١ من سورة البقرة.

[٥] المحتسب:١/ ٦٤، ٦٥.

[٦] المباحث الأسلوبية عند ابن جني/ ٤٣، (بحث منشور).

وما يسوّغ تقديم المفعول به، هو العناية به، وفي النص المتقدم تقرير لفكرة حيوية وهي: أنَّ تسمية التكملات في الجملة العربية فضلات في بعض الأحيان لا يعني تأخير هذه العناصر من الناحية الدلالية كما توحي بذلك لفظة (الفضلة)، بل كثيراً ما تكون التكملة أو الفضلة هي مدار الكلام ومحوره، بحيث تكون الجملة تابعة لها في المعنى[١] على حدِّ تعبير ابن جني.

ب ـ تقديم الصفة على الموصوف:

ضرب آخر من التقديم والتأخير، وقد استشهد ابن جني بذلك عبر موازنته بين قراءة أنس بن مالك لقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [٢]، على (كشجرة طيِّبة ثابتٍ أَصْلُها) وقراءة الجماعة: أصلُها ثابتٌ، إذ قُدِّمت الصفة على الموصوف في قراءة أنس، وقد ذهب إلى أنَّ قراءة الجماعة أقوى معنًى، معللا ذلك بأنَّ قراءة أنس فيها إجراء الصفة على غير الموصوف الحقيقي، في اللفظ؛ لأنَّ الثبات صفة لأصل الشجرة وليس للشجرة[٣]، وقال: "إنَّ الصفة إذا كانت في المعنى لما هو من سبب الموصوف جرت عليه، إلَّا أنَّها إذا كانت له أخص لفظاً به، وإذا كان الثبات في الحقيقة إنَّما هو للأصل، فالمعتمد بالثبات هو الأصل، فبقدر ذلك ما حسن تقديمه عناية به ومسارعة إلى ذكره"[٤]. ويمكن توضيح ذلك بهذه المعادلة الآتية:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ = شجرة طيبة ثابت أصلها / التحويل بالتقديم

وقد اعتنى المحدثون بالتقديم والتأخير عناية فائقة، فعلى سبيل المثال ذهب الدكتور عبد الفتاح لاشين إلى أنَّ التقديم والتأخير لا يأتيان للاهتمام والعناية فحسب، وإنَّما يأتيان؛ لتحرير المعنى وضبط الدلالة في التراكيب النحوية[٥].

يلخَّص من جلِّ ما سلف: أنَّ نظام الجملة العربية يبيح التقديم والتأخير في مواضع متعددة، ويتمُّ على وفق أسس معهودة، وشروط معروفة، يفضي الخروج عنها إلى إخلال في

---

[١] ابن جني وعلم الدلالة/ ٢٠٦، (رسالة ماجستير)، وينظر: المباحث الأسلوبية عند ابن جني/ ٤٣، (بحث منشور).

[٢] الآية ٢٤ من سورة إبراهيم.

[٣] المحتسب: ٣٦٢/١، وينظر: المباحث الأسلوبية عند ابن جني/ ٤٤، (بحث منشور).

[٤] المحتسب: ٣٦٢/١.

[٥] التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر/١٤٣، وينظر: التطور النحوي للغة العربية/ ١٣٢، ١٣٣.

التركيب؛ وبناءً على ذلك فقد ميَّز ابن جني (ت٣٩٢هـ) في عرضه لموضوع ترتيب أجزاء الكلم داخل التركيب بين أمرين رئيسين هما: التقديم والتأخير، والانزياح أو الخروج عن النظام المعهود في اللغة العربية؛ لأغراض بلاغية أو لاقتضاءات مقامية.

رابعًا/ الإحلال أو الإبدال أو التعويض (Replacement): يشمل حالات استبدال المفردات بغيرها، أو إحلال غيرها محلها، كما يتَّضح في نحو:

أ ← د في أ + ب + ج ← د + ب + ج نحو:

إذا ← إنْ، في نحو: إذا درستَ نجحتَ ← إنْ درستَ نجحتَ

خامسًا/ التبعية: تضمُّ حالات التطابق بين التوابع والمتبوعين كما في:

أ + ب ← (أ + د) + (ب + د) نحو:

الطالبُ + مجتهدٌ ← (الطالب + ان) + (مجتهد + ان) ← الطالبان مجتهدان

تتبع الثانية الأولى في عددها، فتنسجم معها، ولم يرد هذان العنصران في الجزء الثاني من كتاب الخصائص. وهناك عناصر لغوية أخرى كالتمدد أو التوسع (Exponsation)، والتقلص (Reduction)، بيد أنَّ العناصر الخمسة التي ذكرناها آنفًا أهم وأكثر ورودًا في الاستعمال اللغوي[١]. ومن الممكن تصوير خطوات بناء المكونات في هذا المخطط الآتي:[٢]

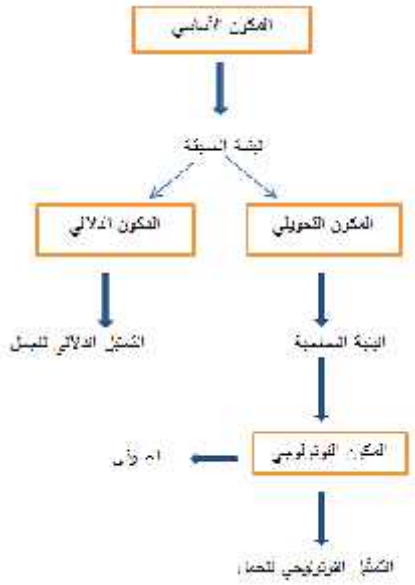

[١] في نحو اللغة وتراكيبها/ ٦٦، ٦٧، والثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز/٣٧.

[٢] تشومسكي والثورة اللغوية/ ١٣٣، وينظر: الألسنية التوليدية والتحويلية/ ١٥ ـ ١٧، والألسنية (المبادئ والإعلام)/ ٢١٢ ـ ٢١٦، والثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز/٣٩.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الخطوات متتابعة ومتسلسلة، فكل خطوة تكملة للأخرى، ولا يمكن الاستغناء عن أية خطوة من هذه الخطوات؛ لأنَّ ذلك يفضي إلى عدم تفسير المكونات الدلالية وتوضيحها. وهناك مسائل أخرى متعلقة بالمنهج التحويلي في الجزء الثاني من كتاب الخصائص، نحو:

الأصالة والفرعية

تستقر النظرية التوليدية التحويلية على مركزين: أحدهما: الأصالة، ما يعرف بالتركيب الباطني أو بالبنية العميقة، ومقياسها الكفاءة والمقدرة على اللغة، وثانيهما الفرعية، ما يعرف بالتركيب السطحي أو بالبنية الظاهرية...، والأصلية والفرعية في الدرس النحوي عند العرب تتجلَّيان في نقاط كثيرة منها: المذكَّر أصلٌ للمؤنَّث، والمنكَّر أصلٌ للمعرَّف، والمفرد أصلٌ للمثنى والجمع، ويكمن الخلاف بينهما في أيٍّ منهما هو الأصل: الفعل أو المصدر، والتصغير الذي يردُّ الكلمات إلى أصولها، والقلب المكاني دليل على أنَّ للكلمة أصلا قبل هذا القلب وما يتَّصل بذلك من إبدال وإعلال[١].

المتتبع للجزء الثاني من كتاب الخصائص، يرى أنَّ المسائل المذكورة لم ترد في هذا الجزء سوى ظاهرة القلب المكاني، وما ذكره في باب الإدغام الأصغر الذي عرَّفه بـ "تقريب الحرف من الحرف"[٢]، وبعض المواضيع المتعلقة بالإعلال.

فلا يمكن الوقوف على كل ما ذكره بهذا الصدد؛ تجنباً للإطالة، بل يكفي البحث بذكر باب الإدغام الأصغر الذي عرَّفه بـ "بتقريب الحرف من الحرف ـ وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك"[٣]، فمن ذلك أنْ تقع فاء صيغة (افتعل) صاداً، أو ضاداً، أو طاءً، أو ظاء، فتقلب لها تاؤه طاء، نحو: اصطبر، واضطرب، وهذا تقريب من غير إدغام. فأمَّا اطَّرد فمن هذا الباب أيضًا، ولكن إدغامه ورد من غير أنْ يُقصد إليه، وذلك أنَّ فاءه طاء، فلمَّا أُبدلت تاؤه طاء صادفت الفاء طاء فوجب الإدغام لما اتفق حينئذ، ولو لم يكن هناك طاء لم يكن إدغام[٤]. وأنَّ الأصل في صيغة (اضطرب) هو (ضرب)، وتحوَّلت إلى (اضترب)، بزيادة الهمزة والتاء، ومن ثم تحوَّلت التاء إلى الطاء، ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

ضرب + ا، ت = ا، ض، ت، ر، ب ⟸ اضطرب

---

[١] في علم اللغة التقابلي/ ٩١.

[٢] الخصائص: ٢/ ١٤١.

[٣] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[٤] الخصائص: ١٤١/٢، وينظر: سر صناعة الإعراب: ١٦٠/١، والمنصف: ٣٢٤/٢، ٣٢٥، وأبحاث في اللغة العربية/ ٩، ٢٠، والدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني/ ١٧٣.

قضية العامل

يقرِّر التحويليون أنَّ النحو ينبغي أن يربط البنية العميقة بـ (بنية السطح) وتمثِّل البنية العميقة للعملية العقلية أو الناحية الإدراكية في اللغة (Conceptual Structure)، ودراسة هذه البنية تقتضي فهم العلاقات، لا باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي فحسب، بل باعتبارها علاقات للتأثر والتأثير، في التصورات العميقة، والحق أنَّ قضية العامل صحيحة في التحليل اللغوي، وقد عادت الآن في المنهج التحويلي صورة لا تبتعد كثيراً عن الصورة التي جاءت في النحو العربي[١].

وجدير بالتنويه أنَّ ابن جني (ت٣٩٢هـ) اعتنى بنظرية العامل؛ لأنَّ العامل ـ عنده ـ كان ولا يزال حجر الزاوية في النحو العربي، وفهم بعض الباحثين من قوله: "فالعمل من الرفع، والنصب، والجر، والجزم، إنَّما هو للمتكلم نفسه"[٢]، على أنَّه هدم هذه النظرية وينشئ النحو على أساس جديد، كما ذهب إلى ذلك الأستاذ أحمد أمين[٣]، وهو مؤمن بهذه النظرية، ويطبقها على بحوثه، ويرجِّح، ويفند، ويؤيد، ويخالف بها،[٤]، في أغلب مواضع الكتاب، وذهب الدكتور عبده الراجحي إلى أنَّ فهم فكرة العامل فهماً لغوياً دقيقا؛ لأنَّه فهمها من خلال التركيب داخل الجمل[٥]، وردَّ ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ) بعد أنْ ذكر قول ابن جني (ت٣٩٢هـ) قائلا: "وهذا قول المعتزلة، وأمَّا مذهب أهل الحق، فإنَّ هذه الأصوات إنَّما هي من فعل الله تعالى، وإنَّما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية"[٦].

ومهما يكن من أمر، فإنَّ ابن جني وقف عند العامل كثيراً، واعتنى به أكثر من غيره، وأنَّ آراءه بخصوص العامل في كتابه (الخصائص) تثبت ما ذكرناه، فمن أقواله مثلا اعتقد أنَّ العمل للعامل، فاستشهد بقوله: إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيت بكراً، ومررت ببكر، فإنَّك خالفت بين حركات حروف الإعراب؛ لاختلاف العامل[٧]، وعليه، فتحوَّلت حركة الراء من الضم إلى الفتح، ومن الفتح إلى الكسر، مع تنوين المواضع الثلاثة، وذلك باختلاف العامل، ويستنتج من ذلك أنَّ العامل يحوِّل الجمل من تركيب إلى آخر.

---

[١] النحو العربي والدرس الحديث/ ١٤٨.

[٢] الخصائص: ١/ ١١٠.

[٣] ظهر الإسلام: ١١٧/٢.

[٤] ينظر: ابن جني النحوي/٢٠٣ وما بعدها.

[٥] فقه اللغة في الكتب العربية/ ١٥٨.

[٦] الرد على النحاة/ ٨٦.

[٧] الخصائص: ٣٧/١، وينظر: ابن جني النحوي/ ١٩٤، ١٩٥.

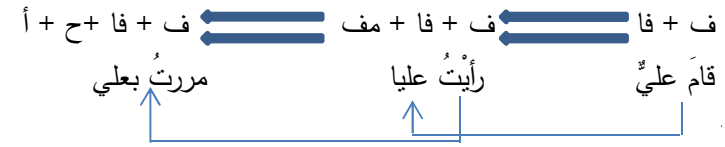

وأنواع العامل عنده ثلاثة: العامل اللفظي، والعامل المعنوي، والعامل اللفظي المعنوي، ويرى أنَّ العوامل اللفظية في الحقيقة معنوية، وهي جميعها ترجع إلى المتكلم أوَّلا وأخيراً، فإنَّه العامل الحقيقي[١]. وللعامل صفات وشروط، فمن الصفات التي ذكرها أبو الفتح في الجزء الثاني من كتابه: عدم جواز إعمال عاملين في معمول واحد، وجواز وقوع المعمول بحيث جواز وقوع العامل[٢]، وعوامل الأسماء أقوى عنده من عوامل الأفعال[٣]. والخلاصة أنَّ ابن جني لا يختلف عن موقف سائر النحاة بخصوص نظرية العامل.

[١] الخصائص: ٣٧/١ وما بعدها.

[٢] المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٧، ٢/ ٣٩.

[٣] المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٨.

نتائج البـحث

بعد هذه الرحلة في رحاب الجزء الثاني من كتاب الخصائص وآراء ابن جني القيمة بخصوص العناصر التحويلية، لقد توصَّل البحث إلى نتائج كثيرة يمكن إيجازها على النحو الآتي:

ـ إنَّ الجزء الثاني من كتاب الخصائص فيه طروحات قيِّمة، إذ يمكن استنباط بعض الظواهر التحويلية فيه، كالحذف، والتقديم والتأخير، وظواهر أخرى.

ـ يُلحظ التشابه بين طروحات ابن جني، وعناصر المنهج التوليدي ـ التحويلي، أي: أنَّ جل ما ذكره ابن جني يلتقي وعناصر المنهج التحويلي في الدراسات اللسانية الحديثة، وهذه إشارة واضحة تؤكِّد إفادة (جومسكي) من الإرث اللغوي.

ـ استطاع ابن جني بمنهجه التطبيقي أن يصل إلى أنَّ الكلام يمكن تحليله إلى المكونات المباشرة بالاستناد إلى عناصر المنهج التحويلي.

ـ لقد ورد الحذف بأضربه المتنوعة في الجزء الثاني من كتاب الخصائص، كحذف الجملة، والمفرد الذي يشمل حذف الاسم، والفعل، والحروف، ووردت الزيادة نحو: زيادة الحروف، وعناصر تحويلية أخرى كقواعد إعادة الترتيب (التقديم والتأخير)، كتقديم (المفعول) على (الفاعل)، وقضية الأصالة والفرعية، وقضية العامل.

ـ إنَّ في الجزء الثاني من كتاب الخصائص تشابهاً جذرياً بين الأفكار التي طرحت وعناصر النظرية التوليدية التحويلية وقوانينها، وعليه فإنَّ للدراسات اللسانية الحديثة جذوراً تمتدُّ إلى الدراسات اللغوية القديمة بفروعها المتعددة.

ثبت المصادر

أولا: الكتب:

- أبحاث في اللغة العربية ـ داود عبدة، مكتبة لبنان، (١٩٧٣م).
- ابن جني النحوي ـ د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع، (١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م).
- أثر النحاة في البحث البلاغي عند العرب ـ د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة ـ القاهرة (١٩٧٥م).
- أساليب بلاغية ـ د. أحمد مطلوب، ط١، وكالة المطبوعات، دار غريب للطباعة، (١٩٨٠م).
- الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) ـ ميشال زكريا، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، ميشال زكريا، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).
- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والإعلام، ميشال زكريا، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- الإيضاح في علوم البلاغة ـ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المشهور بـ (الخطيب القزويني) (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، مكتبة المثنى، بغداد.
- البنى النحوية ـ نعوم تشومسكي، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد (١٩٨٧م).
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ـ د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، المملكة العربية السعودية ـ الرياض (١٩٨٠م).
- التطور النحوي للغة العربية ـ برجشتراسر، تخريج: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي بالرياض (١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م).
- الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز ـ دلخوش جار الله حسين، ط١، دار دجلة، عمَّان ـ الأردن (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).
- جوانب من نظرية النحو ـ نعوم تشومسكي، ترجمة: مصطفى جواد باقر، مطبعة جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة (١٩٨٥م).
- الخصائص ـ أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، د. ت.

- الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني ـ د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ بيروت (١٩٨٠م).
- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ـ الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، رواية: ابن أبي الفرج الأردستاني، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (١٩٧٧م).
- دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني (١٩٨٤م).
- الرد على النحاة ـ ابن مضاء القرطبي (ت٥٩٢هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، ط١، د.ت.
- سر صناعة الإعراب ـ أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (١٩٥٤م)، د.ط.
- ظهر الإسلام ـ أحمد أمين، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان (١٣٨٨هـ = ١٩٦٩م).
- علم اللغة ـ د. حاتم صالح الضامن، مطبعة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد (١٩٨٩م).
- فقه اللغة في الكتب العربية ـ عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت (١٩٧٤م).
- في علم اللغة التقابلي (دراسة تطبيقية) ـ د. أحمد سليمان ياقوت، دار بور سعيد للطباعة، دار المعرفة الجامعية (١٩٨٥م).
- في النحو العربي نقد وتوجيه ـ د. مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ـ لبنان (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).
- في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق) ـ د. خليل أحمد عمايرة، ط١، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ـ جدة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م).
- الكتاب ـ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٣، بيروت ـ لبنان (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، د.ط، د.ت.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ـ أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف، عبد الحليم النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، دار سزكين للطباعة والنشر، استنبول، (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

- مدخل إلى علم اللغة ـ د. محمود فهمي الحجازي، ط٢، دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة (١٩٧٨م).
- معاني القرآن ـ الأخفش (ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. عبد الأمير محمد أمين الورد، ط١، عالم الكتب ـ بيروت (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).
- المقتضب ـ المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ـ بيروت، د.ط، د.ت.
- من أسرار اللغة ـ د. إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة (١٩٧٥م).
- المنصف ـ أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين (١٩٥٤م)، د.ط.
- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسات) ـ د. علي زوين، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بعداد (١٩٨٦م).
- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ـ د. نوزاد حسن أحمد، ط١، منشورات جامعة قار يونس ـ بنغازي (١٩٩٥م).
- النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) ـ د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت (١٩٧٩م).

ثانيًا: الرسائل الجامعية:

- ابن جني وعلم الدلالة ـ نوال كريم زرزور، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، الجامعة المستنصرية (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م).

ثالثًا: البحوث المنشورة في الدوريات:

- الألسنية بين عبد القاهر والمحدثين ـ د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الثالث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ـ العراق (١٩٨٩م).
- الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ـ د. سمير شريف إستيتية، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ـ العراق (١٩٨٩م).
- تشومسكي والثورة اللغوية ـ جون سيرل، مجلة الفكر العربي، العددان الثامن والتاسع، السنة الأولى، طرابلس ـ ليبيا، مطبعة المتوسط ـ بيروت (١٩٧٩م).
- المباحث الأسلوبية عند ابن جني ـ د. صاحب أبو جناح، مجلة الأقلام، العدد التاسع، السنة الثالثة والعشرون، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ـ العراق (١٩٨٨م).